د الواسعة ؛ ولا يمكننا أن نتصور مبلغ نكبة مصر بفقدانها المجرى الحيوى

؛ والنيل الأزرق

إن بلداً كمصر يتوقف عمرانها بل حياتها على نهر ؛ بدع أن يهتم أولو أمره قديماً وحديثاً بالوضع الذى يخرج ، هـذا النهر ويراقبوه بعين يقظى . وكما يشـغل اليوم بال نكلين خطر تحويل مجرى النيـل الأزرق إذا ما استولت ى الحبشة دولة قوية ، كذلك كان يشغل أفكار الفراعنة منذ ف السنين مثل هذا الخطر ، فكانوا يحاولون دائماً التسلط على لحبشة التى كانوا يدعونها بلاد كوش لكى يأمنوه . ولم يكن لأحباش أنفسهم غافلين عن هـذه الفكرة ولكنهم لم يستطيعوا خراجها إلى حيز العمل الكبير لافتقارهم الى الأدوات اللازمة ، حتى اليوم لا يزال ضعف الامبراطورية الحبشـية وتأخرها ى مجالى الحضارة ضمانة لسلامة مجرى النيـل الأزرق . أما إذا استولت على الحبشة دولة أوربية صناعية مثل ايطاليا ، فما يمنعها غداً إذا أرادت أن تستثمر — كما تشاء — الثروات الطبيعية ى بلاد مساحتها نحو ضعفى مساحة فرنسا أن تحول النيل الى غير مجراه الحالى ؟

إن هذه الفكرة وحدها كافية لأن ترعب انكلترا التى ترى فى تحقيقها خراب السودان ومصر ، ولا عجب إذا رأيناها فى موقف الجد والحزم ازاء المشكلة الحبشـية التى هى فى الحقيقة معضلة النيل وذيولها الخفية ؟ (ترجمة العصبة)

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

« الطبعة الرابعة »

ترجمها الأستاذ أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وثمنها ١٥ قرشاً

بعض مآثره

بعـــد الزهاوى !

بقلم عبد الوهاب الأمين

أصبح « الزهاوى » الآن فى رحمة التاريخ الذى لا يرحم ! ودخلت « كان » الخالدة عليه ، فليس يشار اليه الا بها . وذهب فى عالم الشعر والخيال ، بعـد أن كان بشعره مرآة للحوادث المهمة فى حياته وحياة عصره

ولقد كان فى حياته — وما أشد وقع « كان » هذه ! — يتمتع بعطف شديد من طبقة الأدباء ، بقدر ما كان مغضوباً عليه من الطبقات المتعصبة ، ولقد يكون من المناسب أن أذكر الآن أننى كنت ممن نقدوا شعر « الزهاوى » بشدة ، وقد ساقنى الى ذلك وقتئذ اختلاف عصرى عن عصره بطبيعة الحال وبعد شقة التفاهم بين عاطفة شيخ من أدباء القرن التاسع عشر وميول شاب فى القرن العشرين لم يطمئنه ويرضه أدب لا يعبر عن ميوله ؛ وكنت فى ذلك الحين أترقب التشجيعين المعنوى والأدبى بنقدى ذاك ، فما راعنى الا ذلك اللوم والعتاب الذى فجأنى من جماعة كثيرين كانوا مجمعين على أحقية النقد ، غير أن ذلك لم يمنعهم من أن يقابلوه بشىء غير قليل من التذمر ! حتى لقد بلغنى أن أحد من كان بيدهم الأمر حينئذ أشار الى رئيس تحرير الجريدة التى كنت أشتغل بها أن يطلب منى الكف عن نقد « الزهاوى » ! وكنت فى ذلك الوقت اشتغل بالصحافة ، فلم يسعنى الا النزول على ذلك الطلب ، وكففت عن الكتابة فى تلك الجريدة ، غير أنى تابعت نقده فى غيرها !

* * *

لقد أوخذ « الزهاوى » على بعض عقائد له جاهر بها فى حياته ، وعرف له فيها كثير من الاغراق والتطرف ، كما أنه كان يجد على تطرفه هذا كثيراً من المشجعين . وفى رأيى أن المؤرخ الذى سيكتب تاريخ حياة «الزهاوى» جدير به أن ينظر فى هذا الأمر بدقة عند كتابته حياة الفقيد ، فعلى فهم هذه الناحية من

حياة « الزهاوى » يتوقف تقدير أدبه ومدى تأثيره ، وما له وما عليه ، فلقد كان فقيدنا متطرفاً بالرغم منه . إذ أن ما اعتوره من الأمراض العصبية والأمراض الجسدية المزمنة ، جعله كذلك ؛ ومن هنا يدرك القارئ أن رأيه فى « اللذة والألم » الذى ناقشه فيه الأستاذ العقاد قبل سنين ، لم يكن مجرد اغراق منه كان يقصده للظهور بمظهر المخالف ، بل كان فى الحقيقة يمثل حالته النفسية والعصبية ، فقد كان يرى أن الألم فى الحياة أمر قائم بذاته ، وأن اللذة هى انعدام الألم ، وذلك طبيعى بالنسبة له ؛ فما كان يشعر باللذة فى حياته إلا فى الوقت الذى ينصرف فيه الألم الجسدى عنه !

وقد تنبه الأستاذ العقاد الى هذه الناحية عند التعقيب على تلك المناقشة [1] فأشار الى أنه لا ينكر أن « الزهاوى » يكابد من حياته ما له دخل كبير فى تمكين هذه العقيدة من نفسه

فالتطرف اذن هو الظاهرة التى تتركب عليها نفسية الزهاوى فى حياته الشخصية وحياته الأدبية ؛ واذا أدرك الناقد أو المؤرخ علة ذلك فى تكوينه وفى أعصابه ، فسيدرك بطبيعة الحال أن الاغراق والتطرف فى شعره قد يؤديان فى بعض الأحيان الى ظهوره بمظهر المتقلب على نفسه ، وعلى ذلك فليس فى شعر « الزهاوى » تناقض أو رجوع ، بل هى حالات نفسية جارفة تقلبت عليه فى وقتها فأنطقته بما خيل اليه أنه لا يتعارض وآراءه السابقة ، أو للتخلص من الضيق الذى سببته له بعض آرائه الجريئة ، كان يريد به تخفيف وطأة الطبقات المتعصبة عليه ؛ وفى هذه الناحية كان يبدو على شعره الشىء الكثير من التعمل الظاهر فيه حمله على نفسه ، وهنا لا يصح اعتبار مثل هذه الحالات ميزاناً للحكم على آثاره الأدبية والشعرية

* * *

يخطىء أشد الخطأ من يفاضل بين الزهاوى ومعاصريه من شعراء العراق ، فانه فضلاً عن سخافة فكرة المفاضلة لن تتوفر فيها الشروط الأساسية المطلوبة ، فانهم ليسوا « معاصريه » حقاً ولا يمتون اليه بصلة العصر . بل كان عمره المديد الملىء بخدمة الشعر والمساهمة فيه مثار الأشكال فى فهم شعره وحياته . فهو من بقايا القرن التاسع عشر ، وليس من رجال القرن العشرين وما كان بوسعه أن يخرج على نفسه فى هذا الأمر طيلة حياته

واذا كانت خطوات البشرية فى عصورها السابقة للقرن التاسع عشر قريبة المدى من بعضها ، واذا كان التشابه والتقارب بين تلك العصور موجودين فيهما فى هذا العصر قد بلغا آخر درجات التباعد . وقد مرت مئات السنين على البشرية فى « عصور الظلام » فما كان لتلك السنين المديدة أن تؤثر تأثير بضع سنوات فى نهاية القرن التاسع ومطلع القرن العشرين ، فيكاد هذان العصران يمثلان « سن الرشد » للبشرية والدهر ، ففيهما استيقظ الانسان وأحس وأدرك ، وظل كذلك يخطو بسرعة فائقة فى تقدمه حتى لقد كاد أن يكون من المشكل التفاهم بين الولد وأبيه ، كأن بضع السنين التى بينهما قد أقامت بين تفاهمهما حواجز العصور !

من هنا يدرك القارئ السبب فى وجود هذا البعد الكبير بين نفسية « الزهاوى » وبين نفسية شباب اليوم [1] وسبب نقمتهم على أدبه ، ومع كل ذلك فقد أرضى « الزهاوى » كثير من نزعات الشباب وأفكاره ، ودافع عن تلك الرغبات دفاعاً شغل حياته الطويلة ووسمها بسمات لا يستطيع مؤرخه اهمالها فقد كان من مناصرى المرأة والسفور والتجدد ، وظل كذلك الى آخر حياته ، برغم ما جرته عليه هذه الأفكار من المتاعب له ، ومن هنا أيضاً تتضح لنا أهمية الرجل فى العصرين اللذين كان له نصيب الحياة فيهما ، ومدى تأثيره فى كليهما

* * *

وبعد فهل يحق لنا أن نتفاءل بهذه الحركة التى قام بها بعض المعجبين بأدب الزهاوى ؟ وهل لنا أن ننتظر منهم غير ما تعودنا انتظاره فى مثل هذه الحال من دراسة منتظمة لعصره وحياته وآثاره ، أم لا تزيد هذه الهيجة على نصب تمثال له فقط ؟

على كل حال ، اننا ننتظر ونأمل أن تتشكل لجنة من المعجبين بشعره من الأدباء لتدوين تاريخ حياته ، لأنه والحق يقال ، قد كون فى حياته فصلا كاملاً لحياة العراق فى ملتقى عصرين مهمين من حياة البشرية

(بغداد) عبد الوهاب الامين

(١) راجع فصل « اللذة والألم » فى كتاب مطالعات فى الكتب والحياة للاستاذ عباس محمود العقاد

(١) فى هذا الكلام نظر ؛ فان الزهاوى كان حريصاً على أن يساير شعره باطراد نزعات العصر . وقد جرؤ على أن يقول ما لم يقله شيخ ولا شاب . وللرسالة رأى فيه ستنشره عما قليل (الرسالة)